

جامعة تلمسان/ كلية الآداب واللغات

عنوان الملتقى الوطني: تجديد التفكير البلاغي -دراسة

في الإشكالية بين المصطلح البلاغي وتذوق النص -

المنعقد يوم 21 يناير 2023

عنوان المداخلة: تجديد التفكير البلاغي

Renewal of rhetorical thinking

الدكتور: عصام خروبي

أستاذ محاضر-أ- جامعة الأمير عبد القدر للعلوم

الإسلامية

كلية الأدب والحضارة /قسم اللغة العربية

Kherroubiaissam25@gmail.com

ملخص المداخلة:

تعد البلاغة الأساس المتين لصناعة العربية، إذ يتم من خلالها المحافظة على الموروث اللغوي ومراعاة سلامته، لذا كثرت الدعوات في العصر الحديث إلى إعادة النظر في التراث البلاغي حيث نادى بعض العلماء والباحثين إلى تجديد التفكير البلاغي ومحاولة تطويره، وتأتي هذه الدراسة بصدد عرض بعض النقاط الأساسية والتي تتمثل في مفهوم التجديد ودواعيه، اتجاهات التجديد في البلاغة العربية، وملامح التجديد في التفكير البلاغي.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، التجديد، الاتجاهات،

الملامح.

Abstract

Rhetoric is the solid foundation of the Arabic industry, through which the linguistic heritage is preserved and its integrity is taken into account. Therefore, calls abounded in the modern era to reconsider the rhetorical heritage, as some scholars and researchers called for the renewal of rhetorical interpretation. This study comes to present some of the main points, which are represented in the concept of renewal and its reasons, the trends of renewal in Arabic rhetoric, and the features of renewal in rhetorical thinking.

Keywords : rhetoric, renewal, trends, features.

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

تحتل البلاغة العربية مكانة مرموقة في التاريخ العربي، فهي من أجلّ العلوم قدرا، ولأنّ دراستها تفتّق الذهن، وتربّي الذوق، وتدّربه على الرقّة والدقّة؛ حتى يميز بين الجيد والرديء من الكلام، فلقد كانت تعالج في غالب الأحيان نصوصا وخطابات أدبية يحكمها الوعي والقصد، وهذا ما جعلها تعود من جديد من أجل دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها إحداث أو زيادة درجة موافقة الآخرين على الأطروحات المقدمة إليهم بقصد قبولها والافتتاع بها وتذوق محتواها. لذا يعتبر مصطلح التفكير

البلاغي من أهم المصطلحات التي ركّزت عليه الدراسات المعاصرة والبحث في مفهومه محاولة بذلك الوقوف على أغلب التحديات التي تمر بها البلاغة العربية أو كما تعرف ببلاغة الإقناع في ضوء تيارات الحداثة والتجديد البلاغي.

1- مفهوم التجديد ودواعيه:

أ- مفهوم التجديد: يقول الدكتور إبراهيم عطية في تعريف التجديد: "إنّ التجديد في الحقل البلاغي كغيره من فروع العلم والمعرفة تتنوع صورته وأشكله، وتتباين أهدافه ومراميّه، وتتنازعه اتجاهات ومناهج تتنوع طرائقها وأساليبها، وتختلف مآربها ومذاهبها في كيفية النهوض بالبلاغة العربية في عصرها الحاضر، بين مروج لتجديد مزعوم قائم على النّفخ في نار الهجوم على تراثنا

والإطاحة به، وإنكار فضل اللغة العربية وتعمد الخروج على أساليبها. إلى غير ذلك من حملات طائشة وفكر مسموم وتعلات باطلة تبناها الفكر الغربي وسعى إلى تحقيقها، وبين فكر رشيد يدعو إلى ضرورة العودة إلى منابع الأصيلة في تراثنا العربي فمنها يستقي المجددون رؤاهم الجديدة، وهي السبيل الوحيد لفهم النتاج الأدبي¹.

ويقول أمين الخولي: "فالتجديد ليس إلاّ متابعة الحياة من حيث عاقبتها غفوة اجتماعية، ومواصلة النماء من حيث وقفته عوامل جمود، وليس يستبين المجدد طريقه ولا يدرى من أين يبدأ جهاده..."².

¹ - إبراهيم عطية، أعلام التجديد في الدرس البلاغي المعاصر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة دوسوق، القاهرة، ص187.

² - أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ط1، دار المعرفة، (1961م)، ص143.

ويقول محمد حسن الصغير: "إنّ التجديد فكّ الحصار عن التراث، ليعود طليقا بعد الأسر، وبعث الحياة في مناهجه، وتجديدها في ضوء ضوابطه الفطرية دون المعالجات الكلامية، والتقسيمات المنطقية"³.

ب-دعاة التجديد:

بدأت الدعوة إلى تجديد البلاغة منذ نمو وتشعب البحث البلاغي، ومنذ إصدار علماء اللغة والأدب العربي لآراء مختلفة وأصوات تدعو إلى التجديد والتطوير والتيسير. فالبلاغة كما قال حازم القرطاجني: "وكيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصينها في الزمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استفاد

³ - محمد حسن الصغير، نحو التجديد في دراسات الدكتور الجوّاري، المجمع العلمي العراقي، العراق، 1991، ص10.

الأعمار فيها؟"⁴. وقال: "البلاغة علم كليّ، يقتضي ضبطه الإحاطة بعلوم اللسان، وعلوم الإنسان المختلفة المتدخلة في تكوين الذات المنتجة للخطاب".⁵

ويقول الدكتور أحمد مطلوب: "إنّ الأزهر الشريف هو أول من حمل لواء التجديد في البلاغة، وذلك بأن قيّض الله له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الذي أخذ يحيي كتب السلف وعلومهم، ويقوم ما اعوجّ من مناهج التأليف وطرائق التدريس، فقد انصرف الشيخ إلى تدريس كتابي 'دلائل الإعجاز' و'أسرار البلاغة' لعبد القاهر وبذلك فتح

⁴ - حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني أبو الحسن. (ت: 684هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأندباء، ص37.

⁵ - المرجع نفسه، ص72.

أذهان الطلبة، وقوى مداركهم ومواهبهم، لأنهم وجدوا في

تدريس الإمام غير ما ألفوه".⁶

وهناك أيضا عدّة كتب ومقالات تدعو إلى التجديد

والتيسير منها:

*الكاتب أحمد أمين ومقالاته المنشورة في المجالات

العربية.

*الكاتب أحمد الشايب وكتابه 'الأسلوب' أين تم فيه وضع

منهج للبلاغة العربية الجديدة.

*بكري شيخ أمين وكتابه 'البلاغة العربية في ثوبها

الجديد'.

*أحمد حسن الزيات وكتابه 'دفاع عن البلاغة'.

⁶- أحمد مطلوب، اتجاهات البلاغة العربية، ص18.

*مصطفى الصاوي الجويني من خلال كتابه 'البلاغة

العربية تأصيل وتجديد'.

وهناك أسباب عديدة دعت هؤلاء الباحثين لفكرة التجديد

والتيسير من بينها الجمود والتعقيد والتقصير الذي طال

البلاغة العربية في مسائلها ومصطلحاتها.

إذ قال الشيخ أمين الخولي: "طفقت أتعرف على معالم

الدراسة الفنية الحديثة عامة، والأدبي منها خاصة، وأرجع

إلى كل ما يجدي في ذلك، من عمل الغربيين، وكتبهم،

وأوازن بينه وبين صنيع أسلافنا، وأبناء عصرنا في هذا

كله، وكانت نظرتي إلى القديم-تلك النظرة غير اليائسة-

دافعة غلى التأمل الناقد فيه، وإلى العناية بتاريخ هذه

البلاغة، أسأله عن خطوات سيرها، ومنتجات طريقها،

أستعين بذلك على تبين عقدها، وتفهم مشكلاتها، ومعرفة

أوجه الحاجة إلى الإصلاح فيها، وكنت أقابل القديم بالجديد، فأنقد القديم، وأنفي غثّه، وأضم سمينه إلى صالح جديد. لذا قاربت أن أفرغ من النظر في القديم، بعدما ضمنت خياره إلى الجديد، فألفت منه نسقا كاملا، يرجى أن يكون دستور البلاغة في درسها"⁷.

2- اتجاهات التجديد في البلاغة العربية:

أ- الاتجاه الحجاجي (البلاغة هي الحجاج)

إنّ الهدف الوحيد في البلاغة الجديدة عند بيرلمان هو الإقناع والتأثير، في محاولة منه لإحياء البلاغة الميتة التي فقدت على مدى قرون. وركّز بيرلمان في كتابه على مقومات الحجاج الأرسطي التي تعتمد على أسس الخطاب البلاغي مجدداً بذلك آراء أرسطو مع إضافة

⁷- محمد بركات، كيف نقرأ بلاغتاً، ط1، دار وائل، عمان، الأردن، 1999م، ص27.

تصورات حجاجية جديدة، وتشتمل بلاغة أرسطو بدورها على كل من نظرية الحجاج ونظرية فن العبارة، ثم نظرية تأليف الخطاب. ويرى بيرلمان أن البلاغة الجديدة تهدف إلى إقناع الآخرين: "أنجع الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفق علا الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"⁸.

ب-الاتجاه الأسلوبي (البلاغة هي الأسلوب)

ويقول جميل الحمداوي: "الأسلوبية هي دراسة الأسلوب دراسة علمية في مختلف مستوياته الصوتية والدلالية والتركييبية، وتهتم باكتشاف خصائص الأسلوب الأدبي

⁸ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، صفر (1413هـ - 1992م)،

وغير الأدبي وتحديد مواصفاته المتفردة ومقوماته الفنية والوجدانية، ومن القضايا التي تطرحها الأسلوبية للدراسة: موضوع الكتابة والصياغة، قضية الانزياح، قضية المسافة الجمالية، أدبية النص الأدبي ودراسة الوظيفة الشعرية، ورصد الصور البلاغية، العناية باللفظ والمعنى"⁹.

وقال محمد العمري في حديثه عن الاتجاه الأسلوبي: "واعتبر الدارسون لزمن طويل -وربما ما يزالون كذلك- أن أحسن مسرّد للتاريخ "اختزال البلاغة الغربية" (باهمال أبعادها الحجاجية والمعرفية) هو الذي قدمه رولان بارت، فقد اعتمده جل الدارسين وأفتوا به، ومنهم جيرار جينيت وبيرلمان مع تركيز كل على ما يهمله.

⁹- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص

وهكذا ركّز جيران جينيت على لحظات الاختزال الكبرى.
فذكر من الأعمال التي كرست تحويل البلاغة نحو صور
التعبير عامة والمجاز، خاصة كتاب ديمارسي: المجازات.
لقد ساهم هذا المؤلف في تقوية الاهتمام صور التعبير
المعنوية القائمة على المجاز، وبذلك وضع التعارض بين
المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في مركز التفكير
البلاغي... كما جعل البلاغة تفكيراً في التصوير
التعبيري¹⁰.

وقد أمكن لجاك سوشر أن يحسم الاختيار لصالح
الاستعارة وحدها قائلاً دون تحفظ: "إذا كان الشعر فضاء
ينفتح في اللغة، وإذا كانت الكلمات تتكلم من جديد
والمعنى يتمعن من جديد بواسطتها، فذلك لوجود تحوّل

¹⁰ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق - المغرب - 2005،

للمعنى بين اللغة المستعملة والقول المتوصل إليه، أي وجود استعارة. وفي هذا المنظور لا تبقى الاستعارة مجرد صورة من الصور؛ بل تصير صورة الصور، ومجاز المجازات¹¹.

وهذا الرأي نفسه توصل إليه ميشيل جوكي: "إذا تعلق الأمر بإخضاع نوع من الأنواع لجنس ما، فإن الاستعارة، أو صورة الصور، هي المؤهلة للعب دور الجنس... لا يوجد غير جنس أعلى واحد هو جنس صورة التعبير أو الاستعارة... الاستعارة والكناية تنتميان، رغم اختلافهما الثانوي إلى بعد واحد، هذا البعد الذي يمكن التعبير عنه عامة بعبارة الإستعارية"¹².

¹¹ - المصدر نفسه، ص 73.

¹² - المصدر نفسه، ص 74.

ج- الاتجاه الخطابي (السميائيات وعلم النص)

يتجسد البحث عن بلاغة لكل الخطابات كما تمنها
جينيت، البلاغة المؤهلة " للتأثير في محرك الكون"،
تجمع بين المكون الشعري والتداولي الخطابي وتتجاوز
اللغة الطبيعية إلى عالم العلامات. بلاغة تقع عند تقاطع
أجناس القول وأشكال التواصل، رائدها التأثير والتفعيل.
إنها صيغة قد تظل هدفا تهفو نحوه القلوب وتقتصر دونه
المشاريع المضبوطة علميا. وهذا ليس عيبا نظرا لطبيعة
الموضوع المتحركة. لقد شكر جينيت مسعى رولان بارت
وكبدي فاركنا نظرا لكونهما خرجا بالبلاغة عن حدود
صور التعبير، واهتما بالأبعاد الأخرى التي أغفلتها
الشعرية¹³.

¹³ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 77.

ويقول حمداوي: "تصاغ الصورة الإشهارية بطرائق أسلوبية عديدة ومتنوعة كالتشبيه والاستعارة والتشخيص والأيقونة والمجاز والكناية والأسطورة والسجع والطباق والمقابلة والتكرار..."¹⁴.

3- ملامح التجديد في التفكير البلاغي:

لقد كان في اتجاهات البلاغة والدعوة إلى تجديدها تطويرها، ملامح ومظاهر أضاءت الطريق إلى معالم البلاغة العربية الجديدة.

ويوضح الدكتور أحمد ضيف بأن هناك نوعين من البلاغة: "البلاغة الوجدانية، والبلاغة الاجتماعية. فالبلاغة إما أن تكون عبارة عما يجول في نفس الإنسان من عواطف وإحساسات وخيالات وغيرها مما يدل على

¹⁴ - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 87.

شخصية الكاتب أو المتكلم فحسب. وإما أن تكون صورة

غير صورة نفس الكاتب أو الشاعر"15.

وتقسيم البلاغة إلى وجدانية واجتماعية يعتبر رأياً جديداً.

وقد قام الأستاذان علي الجارم ومصطفى أمين بوضع

تأليف جديد لكتاب البلاغة الواضحة، وقالوا في المقدمة:

فهذا كتاب وضعناه في البلاغة، واتجهنا فيه كثيراً إلى

الأدب، رجاء أن يجتلي الطلاب فيه محاسن العربية،

ويلمحو ما في أساليبها من جلال وجمال، ويدرسوا من

أفانين القول وضروب التعبير، ما يهب لهم نعمة الذوق

السليم، ويربّي فيهم ملكة النقد الصحيح، وأملنا أن يكون

لعملنا هذا شأن في إحياء الأدب، وتوجيه أذهان المعلمين

15- أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، القاهرة، 1921، ص 27.

والطلاب إلى هذه الطريقة التي ابتكرناها في دراسة
البلاغة¹⁶.

وهذا الكتاب يعتبر بداية عملية في طريق التجديد
البلاغي، حيث كان ممهدا لصدور كتب أخرى تدور حوله
وتتبع طريقته في إحياء وتطوير التفكير البلاغي.

الخاتمة

و من خلال ما تقدم ذكره في هذه المداخلة، يمكن
القول أن البلاغة قد سلكت مراحل عديدة خلال انتقالها
من العصر القديم إلى المعاصر، حاملة في طياتها كل
معالم التجديد والتيسير والتطوير، فقد أعيد النظر فيها من
منظور جديد يهدف إلى إحياء التراث البلاغي، فالتفكير
البلاغي الجديد إذن هو نتاج تراكم العديد من الأبحاث

¹⁶ - علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، 1432هـ-2010م، ص3.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابراهيم عطية، أعلام التجديد في الدرس البلاغي المعاصر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة دوسوق، القاهرة.
- 2- أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ط1، دار المعرفة، (1961م).
- 3- محمد حسن الصغير، نحو التجديد في دراسات الدكتور الجوارى، المجمع العلمي العراقي، العراق، 1991.
- 4- حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني أبو الحسن. (ت: 684هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء.
- 5- أحمد مطلوب، اتجاهات البلاغة العربية.
- 6- محمد بركات، كيف نقرأ بلاغتاً، ط1، دار وائل، عمان، الأردن، 1999م.
- 7- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، صفر (1413هـ - 1992م).
- 8- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.

9- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق-

2005المغرب.

10- أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، القاهرة، 1921.

11- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، 1432هـ-2010م.

